Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما صور جونتر جراس أيضا إحساس الألمان بالذنب بطريقة ساخرة فى النادى الليلى المسمى «حانة البصل»، والذى يتردد عليه أولئك الأثرياء الذين يستخدمون البصل لإدرار الدموع الغزيرة من عيونهم بقصد التكفير عن الذنب. وقبل النهاية، يصور المؤلف عودة المسارح إلى العمل ونشوء مجتمع ضخم تافه لا يمكن احتماله.

إن اتساع النسيج الذى احتوى أحداث ثلاثين عاما، هى من أكثر أعوام القرن العشرين تأثيرا على السياسة والمجتمع الأوروبى بشكل خاص، يذكرنا بطريقة تولستوى أو أسلوب تشارلز ديكنز. لقد استطاع جونتر جراس أن يناطح هذين العملاقين بثراء الشخصيات. فإلى جانب أوسكار (بطل الرواية) نجد أقاربه وأجداده ومعارفه وجيرانه يتدافعون بغزارة من خلال فصول الرواية ومشاهدها، مع العناية بإعطاء الصورة الكاملة لكل شخصية على حدة.

إن جونتر جراس قادم من مدينة دانتسيج، ورواية «*الطبلة الصفيح*» كتبها فى باريس، والجانب الأكبر من مادته حصل عليه من دانتسيج، فى حين أن القالب الذى صاغ فيه روايته تأثر كثيرا بالمؤثرات الباريسية. ومن المحال حقا أن نتصور هذه الرواية بدون أجوائها السيريالية أو الخيالية المغرقة فى الغرابة.

إن أوسكار، عندما يبلغ الحادية والعشرين من عمره ـ رغم أن طوله لا يزيد على تسعين سنتيمترا إلا قليلا ـ يأتى إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية، حيث يجرب أول رواج فى الأعمال بعد الحرب، فيعمل فى البداية حجّارا فى بناء معمارى، ثم عضوا فى فرقة لموسيقى الجاز، إلى أن يرسل إلى مصحة الأمراض العقلية فينتهز الفرصة لكتابة قصته.

إن المؤلف فى هذه الرواية لا يتورع عن تصوير الأحداث بلهجة خشنة مصبوغة بلون كالح مرير من السخرية. وبدون أن يبدى رغبته فى النقد، فإنه يبدو لنا ناقدا لا يرحم انحطاط الطبقة المتوسطة التى ساعدت على نشوب الحرب العالمية الثانية، كما ينقد أيضا الكبرياء القومية والوحشية والتطلعات الجوفاء من أجل نجاح سنوات مابعد الحرب. وليس من الغريب أن تلاقى هذه الرواية فى ألمانيا استقبالا تأرجح بين حَدّى التطرف فى المدح والذم. أما فى خارج ألمانيا، فإن هذه الرواية مسئولة أكثر من أى كتاب آخر عن إحياء الاهتمام بأدب ألمانيا الحديث. ففى عام ١٩٦١، كتب أحد النقاد السويديين يقول: «إن الأدب الألمانى بعد الحرب العالمية الثانية استقبل أخيرا أسده الشاب: جونتر جراس». وبعد بضعة أيام، كتب أحد